



## غض البصر

### ملخص الخطبة

- 1- أهمية الحديث عن غض البصر. 2- فتنة النساء والتحذير منها. 3- مسوغات الإقامة في بلاد الكفر. 4- فوائد **غض البصر** عن الحرام. 5- وسائل معينة على غض البصر.

### الخطبة الأولى

أما بعد:

فإن الفتن في هذه الدنيا متنوعة متعددة، وهي راجعة إلى نوعين اثنين: فتن الشبهات، وفتن الشبهات، وكل من هذين النوعين يتبدل ويتلون بأشكال مختلفة ويختلفة قوة وضعفاً من حين لآخر. وفي هذه البلاد، ومع دخول هذا الفصل فصل الصيف، تهاجمنا فتنة عمياء لا يكاد يسلم من أذاها، ولا ينجو من خطرها من ابتلي بالسكن هذه الديار.

أيها الإخوة، مع حلول فصل الصيف، وعندما تشتد حرارة هذه الشمس ولو بشيء يسير، يتحين أهل هذه البلاد هذه الفرصة بعد طول انتظار وعناء، فينسلخون من ملابسهم، ويتفنون في إظهار أجسادهم، ويتسابقون في تقصير ألبستهم، وصدق الله عز وجل إذ يقول: **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافُونَ [الأعراف: 179].**

أيها المؤمنون، لعلكم أدركتم هذه الفتنة وطبيعتها، إنها فتنة النظر المحرم إلى النساء.

أيها الإخوة، قد يسأل أحدكم قائلاً: لماذا نتكلم عن غض البصر؟

نتكلم عنه لأمر:

إن أكبر فتنة سيتعرض لها الإنسان في هذه الحياة الدنيا هي فتنة المسيح الدجال، لكن هذه قد لا تصيب الناس جميعهم، فمن مات قبل أن يتعرض لها، فقد أمن مصيبتها.

يتلو هذه الفتنة، فتنة الرجال بالنساء، في صحيح البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي قال: **(( مَا تَرَكَتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضَرَ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ ))**. وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي قال: **(( إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ ))**.

أيها الإخوة، وحتى لا نقع في فهم خاطئ لهذا الحديث، فنقصر الفتنة فيه على فتنة الشهوة الجنسية المحرمة، سواء عن طريق النظر، أو عن طريق الزنا، فإن المراد بالفتنة هنا عموم الفتنة من عموم



النساء، سواء كانت زوجة أم أجنبية، وسواء كانت فتنتها الشهوة الجنسية، أم الصد عن ذكر الله والانشغال بها عن طاعة الله، كما قال الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [التغابن: ٤١].

أيها المؤمنون، وفتنة النساء هذه خطيرة جداً، حيث أوقعت في شباكها جماعة من العباد والصالحين، حتى صرفتهم عن زهدهم وتتسكهم، وعبادتهم لله عز وجل، بل إن بعضهم مرق من دين الإسلام بسبب امرأة، وما القصة التي اشتهر ذكرها عن جمع من أهل السير والتاريخ والتفسير، ببعيدة عنا عن جمع من الصحابة والتابعين، وذكرها ابن جرير في تفسيره من عدة أوجه أحدها عن علي بن أبي طالب قال: إن راهباً تعبد ستين سنة، وإن الشيطان أراده فأعياه فعمد إلى امرأة فأجنَّها، ولها إخوة، فقال لإخوتها: عليكم بهذا القس فيداويها، قال فجاؤوا بها إليه فداواها، وكانت عنده فينما هو يوماً عندها إذ أعجبه فأتاها، فحملت فعمد إليها فقتلها، فجاء إخوتها فقال الشيطان للراهب: أنا صاحبك، إنك أعيبتي، أنا صنعت هذا بك فأطعني أنجك مما صنعت بك، اسجد لي سجدة، فسجد له، فقال: إنني بريء منك إنني أخاف الله رب العالمين فذلك قوله: كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ [الحشر: ١٦].

عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إنه لم يكن كفر من مضى إلا من قبل النساء، وهو كفر من بقي أيضاً.

وعن سعيد بن المسيب قال: ما أيس الشيطان من أحد قط إلا أتاه من قبل النساء.

أيها المؤمنون، هذه الفتنة المدلهمة، والخطر العظيم، له مداخل ووسائل يلج بها الشيطان على الإنسان، أول مداخل هذه الفتنة، هو النظر إلى النساء، وصورهن، وأشكالهن.

النظر إلى الصور الجميلة يا عباد الله، بلاء ابتلينا به، ومحنة أذهلت العقول، وصهرت أفئدة الرجال، وتلاشى معها إيمان كثير من المسلمين، وصرفت قلوب آخرين عن البر والتقوى.

النظر إلى النساء، فتنة ليس لها من دون الله حام ولا مانع، مصيبة كبيرة، ومفسدة ضخمة، وشر مستطير، وبلاء ومحنة، اللهم اعصمنا منها، واحفظنا عن الوقوع فيها، وارحمنا يا أرحم الراحمين، فإنه لا حول لنا ولا طول بها.

في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّانَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَرِيًّا الْعَيْنِ النَّظْرُ، وَزِيًّا اللِّسَانِ الْمُنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمْتَلِي وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَدِّبُهُ)).

أيها الإخوة، النظر بريد الزنا، قال الشاعر:

كل الحوادث مبادها من النظر.....ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها .....فتك السهام بلا قوس ولا وتر



والعبد ما دام ذا عين يقلبها..... في أعين الغيد موقوف على خطر  
يسر ناظره ما ضر خاطره..... لا مرحبا بسرور عاد بالضرر  
وقال الحجاوي: فضول النظر أصل البلاء لأنه رسول الفرج ، أعني الآفة العظمى والبلية الكبرى ،  
والزنا إنما يكون سببه في الغالب النظر ، فإنه يدعو إلى الاستحسان ووقوع صورة المنظور إليه في  
القلب والفكرة ، فهذه الفتنة من فضول النظر ، وهو من الأبواب التي يفتحها الشيطان على ابن آدم.  
قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ  
[النور: ٣٠].

وتأملوا أيها المؤمنون ما في هذه الآية من البلاغة الغوية، وسمو التشريع، وفصاحة الخطاب، فقد  
قال الله عز وجل: يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ولم يقل يغضوا أبصارهم، ومن هنا على رأي كثير من  
المفسرين للتبعيض، لأن أول نظرة لا يملكها الإنسان، وإنما يغض فيما بعد ذلك، فقد وقع التبعيض  
بخلاف الفروج، فلم يقل: يحفظوا فروجهم، وقال: وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ، إذ حفظ الفرج عام.  
ثم تأمل كيف بدأ بالأمر بحفظ البصر ثم أتبعه بحفظ الفرج، وذلك لأن البصر الباب الأكبر إلى  
القلب، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ووجب التحذير منه.  
ولهذا قالوا: النواظر صوارم مشهورة، فأغمدتها في غمد الغض والحياء من نظر المولى، وإلا جرحك  
بها عدو الهوى(١)[١].

وما أحسن قول الشاعر :

وغض عن المحارم منك طرفا..... طموحا يفتن الرجل اللببيا  
فخائنة العيون كأسد غاب..... إذا ما أهملت وثبت ووثبا  
ومن يغضض فضول الطرف عنها..... يجد في قلبه روحا وطيبا  
أيها المؤمنون، في الديار الكافرة التي طغا أهلها في البلاد فأكثروا فيها الفساد، إذا نظرت أمامك  
فسيقع نظرك على محرم، وإذا صرفته إلى الجهة اليمنى، فستشاهد صورة قبيحة، وإذا التفت إلى  
يسارك فسيمر أمام ناظريك شيطان في صورة امرأة شبه عارية، وإذا نظرت أسفل منك فسترى مفاتن  
من نوع آخر، فأين تنتظر، انظر إلى السماء لتدعو الله عز وجل أن يهدي أهل هذه البلاد، وأن  
يرحمنا وإياهم فلا ينزل عليهم حجارة من سجيل تحرق أجسادهم العارية، فإن لم يهديهم فندعوه أن  
يخرجنا من هذه البلاد سالمين في ديننا وأعراضنا، وأهلينا، وأن يهدي بلاد المسلمين فلا تحذو  
حذوهم في هذا العربي والفجور، وأن تلتزم الإسلام نهجاً وتقرب أهل الخير بدل أن تضيق على أهل  
الخير حتى تضطرهم للقدوم إلى هذه الديار.

أيها الإخوة، مظاهر الفجور التي نشاهدها بأم أعيننا صباح مساء، تعيد علينا السؤال المهم  
والخطير، ما هو المسوغ الشرعي لبقائنا في هذه البلاد، هذا السؤال المحرج الذي كثيراً ما تسائلنا به



في دواخل أنفسنا، وكثيراً ما تهرينا من الإجابة عنه، وكثيراً ما غالطنا عند الإجابة عنه حقائق شرعية، بل وواقعية.

أيها المؤمنون، وكما ذكرت قبل، فإن الحق مؤلم، والصرخة مزعجة، ومواجهة المشكلة تحتاج إلى شجاعة وإقدام، فلذا أريد أن ألخص لكم جواب هذا السؤال فيما يلي:  
سكنى هذه الديار لا تجوز إلا بتحقق ثلاثة شروط:

الأول: الأمن على الدين، بحيث يكون لدى المقيم من العلم، والإيمان وقوة العزيمة ما يطمئنه من الثبات على دينه، والحذر من الزيغ والانحراف، ومولاة الكافرين ومحبتهم.

الثاني: أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يمنع من إقامة الصلاة، والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلى جماعة، وكذلك لا يمنع من الصيام والزكاة والحج وغيرها من شعائر الدين.

الثالث: المسوغ الشرعي. ولا نريد أن نفصل في هذه الشروط.

لكن ليسأل كل منا نفسه عن مدى تحقق هذه الشروط، وليتذكر قول الرسول : ((أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين)).

أيها الإخوة، ولما كان النظر المحرم بهذه الدرجة من الخطورة، وهذه المنزلة من الغواية، كان لغض البصر فوائد كثيرة، يسر الله لبيانها العالم الرياني طبيب القلوب الشيخ ابن قيم الجوزية، وها نحن نذكر نتفاً من تلك الفوائد التي صاغها يراعُه:

أحدها: تخليص القلب من ألم الحسرة:

فإن من أطلق نظره دامت حسرته، فأضر شيء على القلب إرسال البصر، فإنه يريه ما يشند طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول له إليه، وذلك غاية ألمه وعذابه.

قال الشاعر:

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً... لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه.....ه ولا عن بعضه أنت صابر

والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية، فإن لم تقتله جرحته، وهي بمنزلة الشرارة من النار ترمى في الحشيش اليابس، فإن لم يحرقه كله أحرقته بعضه، والناظر يرمي من نظره بسهام غرضها قلبه، وهو لا يشعر فهو إنما يرمي قلبه.

وقال الشاعر:

إذا أنت لم ترع البروق اللوامحا... ونمت جرى من تحتك السيل سائحا

غرست الهوى باللحظ ثم احتقرته..... وأهملته مستأنسا متسامحا

ولم تدر حتى أينعت شجراته... وهبت..... رياح الوجد فيه لواقحا



فأمسيت تستدعي من الصبر عازباً.....عليك وتستدني من النوم نازحاً  
الفائدة الثانية:

أنه يورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه  
ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه، ولهذا . والله أعلم . ذكر الله سبحانه آية النور في قوله تعالى: اللّهُ  
نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [النور: ٣٥]، عقيب قوله: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ [النور: ٣٠].  
الفائدة الثالثة:

أنه يورث صحة الفراسة فإنها من النور وثمراته، وإذا استتار القلب صحت الفراسة لأنه يصير بمنزلة  
المرآة المجلوة، تظهر فيها المعلومات كما هي، والنظر بمنزلة التنفس فيها، فإذا أطلق العبد نظرة  
تنفست نفسه الصعداء في مرآة قلبه، فطمست نورها، كما قيل:  
مرآة قلبك لا تريك صلاحه.....والنفس فيها دائماً تتنفس  
وقال شجاع الكرمانى: من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغيض بصره عن المحارم  
وكف نفسه عن الشهوات وأكل من الحلال لم تخطيء فراسته، وكان شجاع لا تخطيء له فراسة.  
والله سبحانه وتعالى يجزى العبد على عمله بما هو من جنسه، فمن غيض بصره عن المحارم عوضه  
الله سبحانه وتعالى إطلاق نور بصيرته، فلما حبس بصره الله أطلق الله نور بصيرته، ومن أطلق  
بصره في المحارم حبس الله عنه بصيرته.  
الفائدة الرابعة:

أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته فيجعل له سلطان البصير مع سلطان الحجة، ولهذا يوجد في  
المتبع لهواه من ذل القلب وضعفه ومهانة النفس وحقارتها ما جعله الله لمن أثر هواه على رضاه،  
قال الحسن: إنهم وإن هملجت بهم البغال وطقطقت بهم البراذين، إن ذل المعصية لفي قلوبهم أباي  
الله إلا أن يذل من عصاه.

أيها المؤمنون، إن فهم هذا وإداركه يبين لنا سبباً من أسباب الذل الذي ضرب على هذه الأمة في  
هذه العصور، لقد أدلتنا المعاصي، وأسرتنا الذنوب، وأوهن قوانا البعد عن الله، فخارت لنا كل قوة،  
وهنت لنا كل عزيمة، وأصبحنا أهون الخلق، وانظر في حال قنواتنا الفضائية التابعة لدولنا  
الإسلامية تعلم أين نحن.

وبهذا المناسبة، فأقول عرضاً: هذا الكلام، أعني اتهام قنواتنا الإعلامية بنشر الرذيلة، وبث الفساد،  
يريح النفس، ويسلي القلب لأن فيه إلقاء للتعبئة على الآخرين، وينسى الفرد منا مجابهة الحقيقة،  
ومواجهة الصراحة، إذا كان هؤلاء يصنعون الفساد في هذه القنوات الفضائية، فما الذي يدعونا لهذا  
الفساد بجلب هذه القنوات إلى منازلنا، ثم يجبرنا على مشاهدتها؟  
يا رامياً بسهام اللحظ مجتهداً.....أنت القتل بما ترمي فلا تصب



وباعت الطرف يرتاد الشفاء له.....توقه فإنه يأتيك بالعطب  
ترجو الشفاء بأحداق بها مرض.....فهل سمعت ببراء جاء من عطب  
وبئاعا طيب عيش ما له خطر.....بطيف عيش من الأيام منتهب  
غبننت والله غبنا فاحشا فلو اس.....ترجعت ذا العقد لم تغبن ولم تخب  
الفائدة الخامسة:

أيها الإخوة، من فوائد غض البصر أنه يورث القلب سروراً وفرحة وانتشراحاً أعظم من اللذة والسرور  
الحاصل بالنظر وذلك لقهره عدوه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه.  
وأيضاً فإنه لما كفّ لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرة نفسه الأمانة بالسوء أعاضه الله سبحانه مسرة  
ولذة أكمل منها كما قال بعضهم: والله للذة العفة أعظم من لذة الذنب.  
ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها أعقبها ذلك فرحاً وسروراً ولذة أكمل من لذة موافقة الهوى بما لا  
نسبة بينهما، وهاهنا يمتاز العقل من الهوى.  
الفائدة السادسة:

أنه يخلص القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه فهو كما قيل: طليق برأي  
العين وهو أسير، ومتى أسرت الشهوة والهوى القلب تمكن منه عدوه وسامه سوء العذاب وصار كما  
قال القائل:

كعصفورة في كف طفل يسومها... حياض الردى والطفل يلهو ويلعب  
الفائدة السابعة:

أنه يسد عنه باباً من أبواب جهنم، فإن النظر باب الشهوة الحاملة على موقعة الفعل، وتحريم الرب  
تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول، فمتى هتك الحجاب وقع في المحذور ولم تقف نفسه منه  
عند غاية، فإن النفس في هذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها، وذلك أن لذتها في الشيء الجديد،  
فغض البصر يسد عنه هذا الباب.

أيها المؤمنون، وفوائد غض البصر وآفات إرساله أضعاف أضعاف ما ذكرنا وإنما نبهنا على  
بعضها.

أيها المؤمنون، والآن وبعد بيان خطورة هذا الأمر، وبيان أهمية غض البصر، يرد علينا سؤال هام  
جداً، ولعل قد خطر بخاطركم كلكم، ألا وهو ما هي الوسائل المعينة على غض البصر؟  
أيها المؤمنون، نعم هو سؤال هام جداً، بل هو سؤال محير، لا سيما في هذه البلاد، ولا سيما في  
هذه الأجواء الصيفية.

أيها الأخ المبارك، إليك بعض الوسائل التي تعينني وتعينك على خوض هذه المعركة القاسية مع  
النفس، والهوى، والشيطان، فارع لي أذنأ صاغية، وامنحني فؤادك الخير، وامنحني عقلك النير لأقول



لك:

القاعدة الأولى: إذا نظرت نظر الفجأة فاصرف بصرك:

في صحيح مسلم عن جرير بن عبدالله البجلي قال سألت رسول الله عن نظرة الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري.

قال النووي في شرح مسلم ومعنى نظر الفجأة أن يقع بصره على الأجنبية من غير قصد فلا إثم عليه في أول ذلك ، ويجب عليه أن يصرف بصره في الحال ، فإن صرف في الحال فلا إثم عليه ، وإن استدأتم النظر أثم لهذا الحديث ، فإنه أمره بأن يصرف بصره مع قوله تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ.

أيها المؤمنون، كما ذكرنا فإن بصر الإنسان في هذه البلاد معرض في كل دقيقة، بل في كل لحظة إلى الوقوع على صورة محرمة، فماذا يفعل؟

اصرف بصرك ولو أن تضطر لإغماض عينيك، واعلم يا عبدالله أنك إنما تتعامل مع الله، مع ربك ومولاك، من إذا غضب ألقى بك في نار وقودها الناس والحجارة، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم.

القاعدة الثانية: (يا علي! لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى و ليست لك الآخرة)(٢)(٢) رواه الإمام أحمد وأبو داود وهو حديث حسن.

وهذه قاعدة متصلة بالقاعدة السابقة، ومكملة لها، وهي قاعدة ذهبية في غض البصر وحفظه عن الحرام، لا سيما في هذه البلاد.

قال ابن الجوزي: "وهذا لأن الأولى لم يحضرها القلب ، ولا يتأمل بها المحاسن، ولا يقع الالتذاذ بها ، فمتى استدامها مقدار حضور الذهن كانت كالثانية في الإثم."

القاعدة الثالثة: تجنب الجلوس والتسكع في الطرقات:

في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي قال: ((إياكم والجلوس في الطرقات قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها قال رسول الله: فإذا أبيئتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه قالوا: وما حقه؟ قال: غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)).

قال النووي: "هذا الحديث كثير الفوائد، وهو من الأحاديث الجامعة، وأحكامه ظاهرة، وينبغي أن يجتنب الجلوس في الطرقات لهذا الحديث".

أيها الإخوة، نهاهم الرسول عن الجلوس في الطرقات لأنها مظنة التعرض للنظر المحرم، وارتكاب منهيات أخرى، فلذلك قال لهم النبي: ((فإن كان لابد))، فأعطوا الطريق حقه، وذكر من حق

الطريق غض البصر.



أيها الإخوة، يشترك مع الطرقات هذه التي هي مظنة النظر المحرم، الأماكن العامة التي يكثر فيها التفسخ، كبعض الحدائق والأسواق، وللأسف إن كثيراً من المسلمين يتهاونون في هذا الأمر، فيخرجون للنزهة في مثل هذه الحدائق مع علمهم بأنها مليئة بمظاهر التفسخ والانحلال والعري، ثم بعد ذلك يطالبون بالحلول العملية المعنية على غض البصر.

فإن قال قائل: لكن لا يستطيع الإنسان حبس نفسه بالبيت، فلا بد من الخروج لشراء الحوائج، والنزهة، فنقول أولاً: لا بد أن يكون ذلك بقدر الحاجة، ولا يحدث فيه توسع، ثم ليجنب الإنسان الأزمنة والأمكنة التي هي مظنة الفساد، وبعد ذلك نقول له كما قال الرسول لأصحابه: ((فإن كان ولا بُد فاعطوا الطريق حقه... غض البصر، وكف الأذى)).

أيها الإخوة، ما أشبه هذه البلاد في هذه الأيام، دور النظافة والاستحمام التي وجدت في بعض البلاد الإسلامية في عصور سابقة، دور النظافة هذه كانت تسمى بالحمامات، وليس المقصود بها أماكن قضاء الحاجة، بل هي أماكن عامة تتوفر فيها التدفئة والماء الساخن الذي لا يتوفر لكل أحد في تلك الأزمنة.

هذه الدور يدخلها عموم الناس من الرجال فقط، أو النساء فقط، ولا يراعون فيها حفظ عوراتهم وسترها عن أعين الناس، ومع أنها تخلو عن الاختلاط بين الرجال والنساء، إلا أن العلماء ذكروا لها أحكاماً خاصة، لأن فيها كشافاً للعورات، وهذه الأحكام التي ذكرها العلماء لتلك الدور كأنما ذكروها لهذه البلاد.

قال العلماء: فإن استتر فليدخل بعشر شروط، نذكر منها ما يلي:

الأول: ألا يدخل إلا بنية التداوي أو بنية التطهر عن الرخصاء، ومعنى هذا أن الدخول لمجرد الترفه الذي لا حاجة له به.

الثاني: أن يعتمد أوقات الخلوة أو قلة الناس.

الثالث: أن يكون نظره إلى الأرض أو يستقبل الحائط لئلا يقع بصره على محظور، وغير ذلك. فإن لم يمكنه ذلك كله فليستتر وليجتهد في غض البصر.

### الخطبة الثانية

وبعد: فمن القواعد المعينة على غض البصر: قوله تعالى.

القاعدة الرابعة: يَعْلمُ حَائِثَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ [غافر: ١٩].

قال ابن عباس: (هو الرجل يكون جالساً مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها، وعنه: هو الرجل ينظر إلى المرأة فإذا نظر إليه أصحابه غضّ بصره، فإذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر، فإذا





نظر إليه أصحابه غض بصره، وقد علم الله عز وجل منه أنه يود لو نظر إلى عورتها).  
وقال مجاهد هي مسارقة نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه(٣)[١].  
وقال قتادة: هي الهمزة بعينه وإغماضه فيما لا يحب الله تعالى.  
سئل الجنيدي: بم يستعان على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبق إلى ما تنتظره. وكان الإمام أحمد ينشد:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا.....تقل خلوت ولكن قل على رقيب  
ولا تحسبن الله يغفل ساعة.....ولا أن ما يخفى عليه يغيب

القاعدة الخامسة: بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِيرَهُ [القيامة: ١٤، ١٥].  
يكثر الإنسان من البحث عن الأعذار في عدم إمكانية غض البصر، وأنه أمر غير واقعي، ويبدأ الشيطان بحياكة صور متعددة من الأعذار، ويزين له الاتكال عليها من أجل أن يطلق بصره، ويسرح بنظره، فتارة يقول له مستهزئاً: الأحسن لك أن تكون أعمى، أو أن تصطدم بالناس، وتارة يقول له: سر كالأبله الذي لا يعرف شيئاً، وأخرى يقول له المهم نظافة القلب، ولو نظرت إلى النساء، وهكذا، إلى غير هذه من الأعذار، والجواب عن كل هذا: بل الإنسان على نفسه بصير، ولو أكثر من إلقاء المعاذير، وهذا معنى تلك الآية.  
القاعدة السادسة: ((احفظ الله يحفظك)).

نعم احفظ الله باتباع أوامره واجتنب نواهيه، يحفظك من الإنزلاق في المعاصي، كما يحفظك إذا احتجت إليه في يوم شدة، ومن حفظ الله أن تلزم ذكره حتى تكون أقرب إليه، وأبعد عن الشيطان، فإذا مر عليك منظر، أو رأيت صورة فإنك تكون متصلاً بالله، مستمداً القوة منه، فيكون ذلك أقوى لأن تغض بصرك.

أيها الإخوة، من الغريب أن بعض الإخوة، مفرط في ذكر الله، بل هو مصاحب للشيطان، إما عن طريق الغناء الذي هو مزمارة الشيطان كما قال غير واحد من السلف، وباعث على النشوة ومحرك للغرائز، وباعث على الخفة، مصاحب لكل ذلك، ثم بعد ذلك يقول: إن غض البصر غير ممكن في هذه الديار.

يا أخي أحطت نفسك بأسوار الشيطان، وتخذقت في حباله، ثم بعد ذلك تطالب نفسك بما لا مقدرة عليه، وتتمنى أن تغض بصرك.

ترجو السلامة ولم تسلك مسالكها.....إن السفينة لا تجري على اليبس  
قال ابن تيمية: وتأمل كيف عصم الله عز وجل يوسف عليه السلام من فتنة امرأة العزيز، فقد كانت مشرقة فوقعت مع تزوجها فيما وقعت فيه من سوء، ويوسف عليه السلام مع عزوبته ومرادتها له واستعانته عليه بالنسوة وعقوبتها له بالحبس على العفة عصمه الله بإخلاصه الله تحقيقاً لقوله:



وَلَا غُوبِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ [الحجر: ٣٩، ٤٠]، قال تعالى: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ [الحجر: ٤٢].  
القاعدة الثامنة: ((واتبع السيئة الحسنة تمحها)).

أيها الأخ المبارك، إن انزلاق عينيك في نظرة محرمة، واختلاسة طرفك لصورة نهيت عن النظر إليها، ينكت نكته سوداء في قلبك، فاحذر أن تكثر هذه النقاط السود حتى يصبح قلبك أسود مراداً كالكوز مجخياً أي منكوساً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب في هواه، فاحذر كل الحذر من هذا، واتبع هذه السيئة بحسنة، حتى تجلو قلبك وتغسل فؤادك من ظلمة المعصية، وذلة المخالفة، وتضيق على شيطانك منافذه.

إن الشيطان يأتيك فيقول لك: ها قد وقعت، فانتهي أمرك، فلا تحمل نفسك ما لا طاقة لك به، فلا داعي لأن تعاهد نفسك بعدم النظر وتمتنع عن شيء تعلم يقيناً أنك ستعود إليه، وهكذا ينسج الشيطان الرجيم حولك خيوطاً من الوهم، والوهن، حتى تصبح أسيره، ولا تلبث أن يصدق عليك قول الله عزوجل: أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ الْهَوَا هُوَا [الجاثية: ٢٣].

القاعدة التاسعة: وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ [غافر: ٦٠].

روى شعبة عن عبد الملك بن عمير قال سمعت مصعب بن سعد يقول: كان سعد يعلمنا هذا الدعاء عن النبي: ((اللهم إني أعوذ بك من فتنة النساء وأعوذ بك من عذاب القبر)).  
الدعاء، خير سلاح، وأقوى وسيلة، وأنفع دواء، به استعانة برب الأرض والسماء، به النصر على الأعداء، فاستعن به يا أخي.

ادع الله دائماً أن يحفظ عليك إيمانك، وأن يقوي عزمك على غض البصر، وحفظ النظر، ادع الله في ليلك ونهارك، في أوقات الاستجابة، وفي كل وقت.

أيها الإخوة المؤمنون، ضيق الوقت يمنعني من بيان أمور أخرى متصلة بهذا الموضوع، منها ذكر بعض الحيل الشيطانية التي يحتال بها الشيطان لأجل أيقاعنا في هذه الفتنة، وكذا الحديث عن مشاهدة القنوات الفضائية، ثم الحديث عن شبكة الانترنت والوسائل المعنية على السلامة من أخطارها، ولعل الله يبسر ذلك إن كان في العمر بقية.

أيها الإخوة، ما هي إلا كلمات سكبت فيها روعي، وأفرغت فيها مشاعري، أرجو أنها خرجت من قلب اعترس من هول هذه المشكلة، والكلام يسير، لكن الفعل عسير.



- 
- (٢) حم د ت ك) عن بريده. تحقيق الألباني. (حسن) انظر حديث رقم (٧٩٥٣) في صحيح الجامع.
- (٣) تفسير القرطبي.